الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور(1578–1603م) [1] **:** عرفت الدولة السعدية أزهى عهودها خلال فترة حكم أحمد المنصور حيث اكتملت خلالها تنظيمات الدولة وتقوى نفوذها واتسع ليشمل جميع مناطق المغرب وأجزاء من إفريقيا الغربية كما ازدادت هيبتها على الصعيد الدولي بفضل السياسية الخارجية التي نهجها المنصور الشيء الذي كان له دور كبير في استقرار الوضع المدن والبوادي المغربية وانفتاح المغرب على تيارات حضارية مختلفة وانتعاش الحياة الاقتصادية والفكرية انتعاشا كبيرا خلال النصف الثاني من القرن 16م لكن بعد وفاة المنصور عرف المغرب اضطرابات سياسية خطيرة بسبب الصراع على الحكم ورافق ذلك تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وترتب عن ذلك تراجع سلطة السعديين وظهور قوات جديدة ساهمت بدورها في عودة تجزئة المغرب وتفكك وحدته.

التنظيمات الداخلية: تتألف حكومة المنصور من وزراء ذوي ثقافة عالية ومن مساعدين عهد إليهم بمهمة الكتابة الخاصة أو القيام بسفارات مؤقتة. وكان من بين وزرائه أبو فارس عبد العزيز الفشتالي الأديب المؤرخ، وعبد العزيز المزوار ومن كتابه أبو عبد الله بن عيسى ومحمد بن عمر الشاوي وعلي بن أحمد الشامي.

تمثلت تنظيماته الداخلية في:

الإدارة المركزية: كانت مكونة من عدة عناصر السياسية والإدارية والعسكرية والمالية ومن أبرزها نجد:

السلطان كان يحتل الصدارة في جهاز الحكم، وقد حمل المنصور لقب الخليفة كغيره من ملوك السعديين تأييد بحقيتهم بخلافة المسلمين بدل العثمانيين بحكم أصلهم النبوي الشريف.

---

[1]– أمه تدعى مسعودة بنت أحمد الوزكيتي الورزازي وتكنى بالحرة. كان جميل الصورة، طويل القامة أسود الشعر واسع المنكبين، يميل لونه إلى الصفرة. أخذ الفقه عن عبد العزيز بن ابراهيم الدمناني ، وأحمد بن علي المنجور، والحديث عن أبي نعيم رضوان الجنوي، وقرأ على أساتذة آخرين، فقد كان يجمع بين علوم كثيرة، كما كان يقرض الشعر ويتذوق فنونه. وقد شاع استعمال المنصورية في اللباس من بعده خصوصا بين الفقهاء والوجهاء، وكانت والدته ذات شغف بالعمران والبناء، وأوعزت إليه بناء عدة منشئات، وكان يلزم الكتاب بالحضور والخروج من مكاتبهم في أوقات معينة، وكان إضافة إلى ذلك ذا طموح بالغ حتى قيل لقد راودته فكرة غزو اسبانيا وحتى الهند. ينظر: ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978، ص 246. تجدر الإشارة أنه لقب بالمنصور لإنتصاراته على القوى الصليبية، كما بالذهبي بسبب الفدية التي حصل عليها من البرتغال مقابل استرجاع أسرى المعركة مما مكنه من الحصول على كميات كبيرة من الذهب.

الحاجب: وهو المكلف بتنظيم العلاقات بين الخليفة وباقي كبار الدولة.

الوزير: هو بمثابة الوزير الأول حاليا يشرف على تنفيذ السياسة العامة للبلاد.

كاتب السر: وهو الكاتب الخاص بالخليفة والمسؤول عن ضبط مراسلات المنصور الداخلية والخارجية يساعده مجموعة من الكتاب، وقد استخدم أحمد المنصور الشفرة في خطاباته لولاته.

صاحب خزائن الدار وهو بمثابة وزير المالية حاليا ويتكلف بالسهر على ضبط مداخيل الدولة وصرفها.

أصحاب المشورة: وهم الهيئة الاستشارية التي يلجأ إليها المنصور في حالة عزمه على اتخاذ بعض القرارات، ومكونة من شخصيات عدة كقواد الجيش والفقهاء وزعماء بعض القبائل. كانت تجتمع في يوم الأربعاء من كل أسبوع.

صاحب المظالم: يتكلف بتلقي الشكايات إلى المنصور للبث فيها.

الإدارة الإقليمية: قام المنصور بتقسيم البلاد إلى اثنى عشر ولاية أو إقليم أسند إدارتها لعناصر تحضى بثقته حيث عين على رأس كل اقليم عاملا بمثابة نائب عنه، وكان هذا الأخير يتمتع بصلاحيات واسعة. وقد أناب المنصور عنه أبناءه في الأقاليم خاصة فاس، ومكناس، وسوس، ومراكش. كما قسمت الأقاليم بدورها إلى قيادات يرأسها قائد أو باشا يدير شؤونها العامة ويقوم بالبث في القضايا المدنية والخصومات ويساعد صاحب الشرطة بالحفاظ على الأمن، والقاضي الذي يتكلف بالنظر في القضايا الشرعية، إضافة إلى شيوخ القبائل الذين عهد إليهم تأمين سلامة الطرق.

التنظيم العسكري: كان الجيش النظامي يتكون من الأتراك والأعلاج والأندلسيين وأضيف إليهم من أهل السوس ومراكش، وقسم إلى فرق وجعل لكل فرقة منها لباس خاص، وعين على رأسها قائدا. وقد تأثر بتنظيماته العسكرية بالعثمانيين. كان يخضع باستمرار لتدريبات خاصة، كما تم تجهيزه الأسلحة النارية مثل المدافع والبنادق إلى جانب الأسلحة التقليدية. كما شرع المنصور في أواخر حكمه في تقوية الأسطول.

جيش المتطوعين: عرف بجيش عرب الدولة وهو مكون من القبائل الموالية للدولة، وكانت تمد المنصور بقوات من الفرسان والمشاة مقابل تمتعها ببعض الامتيازات مثل: إعفائهم من الضرائب

وإقطاعهم بعض الأراضي. وقد كان لهذا التنظيم الإداري والعسكري دور مهم في إحكام السيطرة الدولة على جميع مناطق المغرب وإقرار الأمن داخليا وساعد المنصور على التفرغ لتعزيز مكانة المغرب الأقصى على الصعيد الخارجي.

أخذت الأوضاع الداخلية والخارجية تعرف نوعا من الاستقرار فبدأ في رسم سياسة توسعية خاصة أساسها التمركز في مواقع إستراتيجية هامة في الصحراء المغربية وكانت أول خطوة سنة 990ه عندما وفدت على المنصور بفاس سفارة من برنو أرسلها إدريس ألوما.

غزو السودان الغربي: عمل المنصور بعد استقرار أوضاعه الداخلية والخارجية لضم إقليم السودان وتشكيل إمبراطورية إسلامية في غرب إفريقيا لمواجهة الأطماع الأجنبية في ظل أوضاع السودان السيئة وانقسامها وبتزايد الخطر الإيبيري عبر المراكز الساحلية في غرب القارة. واتجه المنصور إلى الاستيلاء على المراكز الصحراوية المتجه إلى السودان، وحاول إقناع ملك سنغاي(مالي وغانا) الدخول في طاعته، وبرفضه أرسل له حملتين عسكريتين في سنة 1591 فقوا على مملكته ليتم ضم أقاليمها للمغرب وجعلها تابعة لإدارته المركزية وعين لها واليا لتسيير أمور الإقليم، مما ساهم في تعزيز مكانة المغرب وإنعاش أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعمرانية. وبذلك أصبح نفوذ الدولة السعدية يمتد جنوبا ماوراء نهر النيجر وتصل شرقا إلى بلاد النوبة التابعة لصعيد مصر. بعد فتحه للسودان الغربي تدفق على المغرب كميات كبيرة من الذهب، وكان يوجد بدار السكة حوالي 1400 مطرقة تطرق الدنانير الذهبية ولهذا لقب بالذهبي.